مجاهيل الخوف المادية وأثرها في تشكيل المعنى في الشعر الإسلامي حتى عام 132هجرية

أ. م.د. مظفر هاشم العاني** د. مها فواز الذيابي*

الملخص

يسعى البحث لتسليط الضوء على مجموعة من المجاهيل المادية المحيطة بالإنسان وتثير غريزة الخوف في نفسه، ولاسيما عندما تستفز مشاعره بخطر يدهمه، أو بضر قد يقع عليه، وهي مجموعة رموز يتفاوت التعامل معها من شخص لآخر ومن نفس لأخرى بحسب قدرة التكيف معها، وطرق المواجهة لها، ناهيك عن تأثيرها الذي ينسحب على الدائرة المحيطة به أحياناً، ويمكن حصرها بالفقر والحيوان والمكان والهرم.

وقد وجدنا حصر دائرة البحث في الشعر الإسلامي حتى نهاية عام 132هجرية. وهو التاريخ الذي سقطت فيه الدولة الأموية . لافتقاره إلى دراسة في هذا الجانب على حد علمنا، فضلاً عن استئثاره باهتمام الباحثين لسحر أدائه الشعري، وسمو مضامينه، وأيضاً جاء اختيارنا لهذا العصر لما تضافر له من عدد ضخم من الشعراء الذين عبروا عما نالهم من طائف الخوف الذي دعاهم إلى التعبير عنه بنغمات الشعر وأوتار القوافي.

** كلية العلوم الإسلامية ـ جامعة الفلوجة
* كلية الآداب ـ جامعة الأنبار.

Summary

The research seeks to shed light on a range of physical unknowns surrounding the man and raise the instinct of fear in itself, especially when provoked feelings danger pounces, or affliction had located him, a group symbols varies handled from one person to another, and the same to another, according to adapt the methods of confrontation ability, not to mention about the impact that extends to the surrounding circle sometimes, and can be identified by poverty, animal, place, and the senility.

We have found the limit of research in Islamic poetry until the end of the year 132 AH, which is the date on which the Umayyad dynasty fell to its lack of study on this side, to our knowledge, as well as accounted for the interest researchers to charm his performance poetry, and sublimity its contents, and also our choice came to this era of what concerted has a huge number of poets who have crossed what had suffered from sodality fear that invited them to express it tones hair and string rhymes.

المقدمـــــــــة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على حبيبنا وسيدنا محمد الصادق الأمين وعلى آل بيته الأطهار المباركين وصحبه الغر الميامين .. وبعد

الخوف شعور فطري في النفس البشرية تجاه خطر يحدق بها، أكان ذلك الخطر حقيقياً أم خيالياً، وكل ما يترتب عليه من آثار ينعكس على حياة الإنسان، وربما تتسع دائرة الخطر لتشمل المحيطين به؛ ويأتي الخوف في أطوارٍ مختلفةٍ

يكاد لا يخلو منه إنسان، وإن وجد فلا يعدو جاهلاً أو مجنوناً أو فاقد الأمل حد اليأس على رأي أغلب علماء النفس[1].

وانطلاقاً من إيماننا بأن الشعر مرآة الحياة ينعكس على لوحها البراق تجربة الشاعر الذاتية إزاء العالم الموضوعي المحيط به وبكل تفاصيله، حاولنا البحث عن مجاهيل الخوف المادية في الشعر الإسلامي وأثرها في تشكيل المعنى حتى نهاية عام 132 هجرية، وهو العنوان الذي انضوى تحته بحثنا، وقد عمدنا لفك رموز تلك المجاهيل الشعرية من خلال سبر أغوار الشعر والخوص في أعماق الشاعر عبر استشعار الأحاسيس والهواجس في النص الشعري، ومعانيه بما تدل عليه من شعور ظاهر أو مستتر، فضلاً عن الإفصاح أحياناً من قبل الشاعر عن طرائق التعامل مع هذا الهاجس، أو التكيف مع ذلك الإحساس.

واختيارنا الموضوع لم يكن خبط عشواء فقد نبه إبن رشيق. حين ذكر قواعد الشعر . على عظم دور الخوف في تفتيق القرائح إذ سلكه في عداد العوامل الباعثة على فن القول، ووضعه إلى جوار الرغبة والطرب والغضب وركوب الخيل[2].

وقد وقع اختيار العصر الإسلامي لافتقاره إلى دراسة في هذا الجانب على حد علمنا، إذ تم دراسة (الخوف في الشعر العربي قبل الإسلام) من قبل (الأستاذ الدكتور جليل حسن محمد)، ووجدنا دراسة أخرى في العصر العباسي ألا وهي (الخوف في أدب المتنبي) لـ(دكتور محمد عبد الرحمن شعيب) مما شجعنا لإكمال الحلقة الناقصة في سلسلة الأدب العربي ولو في طور من أطوار الخوف، فضلاً عما تضافر لهذا العصر من عدد ضخم من الشعراء الذين عبروا عما نالهم من طائف الخوف الذي دعاهم إلى التعبير عنه بنغمات الشعر وأوتار القوافي.

المبحث الأول : الفقـــــر

يعد الفقر عاملاً يثير الخوف في النفس فتساور الإنسان هموم البؤس واليأس، وهواجس الحاجة والفاقة، فالفقر من الآفات الاجتماعية التي يحاذر المرء أن يقع بين مخالبه، لأن الرجل إذا افتقر تجنبه إخوانه وقاطعه رفاقه، فضلا عن كونه علة اجتماعية تبتلى بها المجتمعات إذ تقل موارد العيش وتسوء الأحوال الاقتصادية، فتتفاوت حظوظ الأفراد، وتختل الموازين مما يسهل نشوء الطبقية حيث تظهر طبقة ثرية تنعم بحياة الغنى وتتلذذ بطعمه، وأخرى محرومة تكابد مضاضة الفقر وتكتوي بلظاه، وقد اتسمت الحياة العربية بالفقر أكثر منها بالغنى ليس على صعيد الأفراد فحسب وإنما انسحب ذلك على القبائل لعوامل عدة منها الطبيعة المجدبة للصحراء والحياة القاسية في البادية، مما دفعهم للجوء إلى الغزو بغية كسب الغنائم كي يسدوا رمقهم ويطعموا جوعهم ويتجاوزوا وضعهم الاقتصادي الصعب، بل الفقر دفع العربي في الجاهلية إلى أقسى من ذلك كله حينما تجرد من أحاسيسه الإنسانية وعواطفه الأبوية وأخذ يئد بناته وإن كانت تلك حالة استثنائية فرضتها الظروف الاقتصادية للمجتمع الجاهلي، وعالجها الله سبحانه وتعالى بقوله عز وجل: **(وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا)**[3].

ومع ظهور الإسلام أرتفع مستوى الإيمان عند العربي المسلم بالله عز وجل فخفت هذه الأفعال من غزوٍ ووأدٍ حتى تلاشت كلياً.

فلجأ العربي المسلم إلى تغيير طرق مواجهة هذا الغول المرعب، وكيفية التعامل معه، حيث نظر إليه على أنه قوة قاهرة فجعله يقرن الفقر بالموت، ويدرجه في وصف الدلالات التي تنضوي تحت مفرداته[4]، وجعل الثراء مضموناً معادلاً لديمومة الحياة والخلود، قال المخبل السعدي[5]:

وتقول: عاذلتي وليس لها بغدٍ ولا ما بعده علمُ

إنَّ الثراءَ هو الخلودُ وإنَّ المرءَ يكرب يومَهُ العدمُ

فالفقر يدفع الإنسان إلى الافتراض من اللآخرين وهذا الأمر يجعله مهموما في الليل ذليلا في النهار، لذا ظل شبح الفقر يطارد الإنسان فعمد إلى تحسين أوضاعه المعيشية بطرق شتى منها العمل الدؤوب المتواصل وإن كان هذا العمل سيعرضه للمخاطر والصعاب، يقول النمر بن تولب[6]:

خاطر بنفسكَ كي تصيبَ غنيمةً إنَّ الجلوسَ معَ العيالِ قبيحُ

فالمالُ فيهِ تجلَّةٍ ومهابةٍ والفقرُ فيهِ مذلَّةٍ وقبوحُ

إنَّ هذا الفقر الذي كان يشخص في مخيلة الإنسان كثيرا ما كان يدفع الشاعر إلى محاولة تحسين وضعه الاقتصادي والاحتماء بظل الثروة والمال كي يفر من براثن هذا العدو الذي يتحين الفرصة للانقضاض عليه، فلجأ إلى الاغتراب ومفارقة الأوطان طمعاً في إنجاح مهمته الأولى والأخيرة وهي الإحساس بالأمن خارج سطوة الفقر المدقع والتفكير فيه، فهذا الحطيئة يبث شكواه من قسوة الفقر الذي دفعه إلى الاغتراب طمعاً في اكتساب المال وفي الوقت ذاته يعنف عاذلته التي تحاول ثنيه عن الاستمرار في السفر والترحال بمطالبته إياها بأن تكفيه مئونة الحياة أو تكدس له مالاً يجعله مطمئناً على مستقبله قائلاً[7]:

إنَّ امرأً رَهْطُهُ بالشامِ مَنْزِلُهُ بِرَمْلٍ يَبْرِينَ جاراً شَدَّ ما اغتربا

هلا التمستِ لنا إنْ كنتِ صادقةً مالاً فيسكننا بالخروجِ أو نشبا

إنَّ الخوف من الفقر إذا اعترى الإنسان أفسد عليه حياته وجعله أسيراً لوساوسه ونهباً لهواجسه وإنْ كان على غنى ووفر، فهذا الطرماح يشارك الحطيئة في التغرب المكاني الذي لم يضطره إليه أحد، بل إنَّ الدافع كان ذاتياً لغرض

تحسين الرزق وغيظ الأعداء في الحصول على قطيع ضخم من الإبل، فيخاطب زوجه داعيا إياها ألا تحزن عليه لأنه ظفر بالمال ولن يعود خالي الوفاض فيشمت به خصومه[8]:

فيا سلَمَ لا تخشي بكرمان أنْ أرى أقسى أعراج السوام المروَّح
كفى حزناً يا سلَمَ، إن كان ذاهباً بكرمانَ لي حول، ولم أنسرحْ ..
... ويا سلم .. إنْ أرجع إليك فربما رجعتُ وأمري للعدا غير مفرح

بل إن المال يظل مصدر خوف حتى إن جمع، والسبب هو خوف الإنسان من فقده، فصروف الحياة متقلبة من حال إلى حال أخرى، يقول النابغة الجعدي[9]:

وكم من أخي عيلة مقترٍ تأتي لهُ المالُ حتّى انجبر
وآخرَ قدْ كانَ جمَّ الغناء رمتهُ الحوادثَ حتى أفتقر

إنه يحس إحساسا عميقا بتقلب الحياة وشؤونها، لذا فهو يظل متأمل المال في حالة الفقر، ويظل خائفاً من زواله إن كان غنياً، وربما هذا السبب قد دفع بعضهم لأن يجعل المال في مرتبة العرض إن لم يكن أعلى منها ، وكأنه يبرر لنفسه الخائفة سبب تفريقه المال وإهلاكه، انظر قول حسان بن ثابت[10]:

أحتالُ للمالِ إن أودى فأجمعهُ ولستُ للعرضِ إنْ أودى بمحتالِ

لقد وازن شاعرنا بين ذهاب المال وذهاب العرض، وهذه الموازنة لا تدل . إن دلت على شيء . إلا على أهمية المال في حياة الإنسان، فهو يحتال ليجمعه حفاظاً على حياةٍ آمنةٍ مطمئنةٍ من الهواجس التي يبعثها الخوف من الفقر في قابل الأيام، لكنه في الوقت نفسه يدرك أن محاولته ستبوء بالفشل إن ذهب العرض فالمال ذاهب وآتٍ، وهو في بادئ الأمر وخاتمته ليس بدائم وإن زواله

شبح يطارد الجميع فهو مخول ليس ملكاً وإنما الأمر فيه لله سبحانه وتعالى على رأي عبدة بن الطبيب[11]:

رُبَّ حبانا بأموالٍ مخولةٍ وكلُّ شيءٍ حباهُ اللهُ تخويلُ

والمرءُ ساعٍ لأمرٍ ليس يدركهُ والعيشُ شحٌّ وإشفاقٌ وتأميلُ

إن المتأمل للبيتين السابقين يدرك من الوهلة الأولى الخوف المسيطر على الشاعر فجعله ينظر إلى الحياة بمنظار التشاؤم، فهو لا يرى في الغد المقبل إلا البخل وشظف العيش، وهذا الإحساس بنفعية البخل . إذا جاز التعبير . نوع من أنواع الدفاع النفسي لتبديد تلك المخاوف ومواجهة الإحساس الممض بالخوف من الفقر، فـ"بسبب مطالب الحياة الجديدة، أخذت تظهر بين العرب ظاهرة جديدة لم يعرفوها في الجاهلية، تلك هي ظاهرة الشح والحرص على المال"[12]. وكثر أولئك الشعراء الذين يعيشون في حال من التنازع والصراع حذراً مما تخفيه الحياة في قابل الأيام، فيبتعدون عن عالم الكرم وتتسابق نزوات النفس محذرةً من خطرٍ مقبلٍ وقادمٍ مجهولٍ على حد قول الشاعرة منفوسة بنت زيد الضبي[13]:

وإنّا لنجفوا الضيفَ في غيرِ عسرةٍ مخافة أن يضري بنا فيعودُ

ونشلي عليهِ الكلبَ عند مله ونبدي لهُ الحرمان ثمَّ نزيدُ

إنَّ الخوفَ من الفقر يُلجيء الإنسان إلى اتخاذ الحيطة والحذر فيعمد إلى ادخار المال وضغط النفقات بصورة شخصية فينعت بالبخل بين الناس، وهو الوسيلة الأكثر أماناً إذا ما قيست باللجوء إلى السرقة واغتصاب أموال الآخرين للتخلص من عقدة الفقر أو كما يسميها البعض بـ(عقدة العقد)، وهذا ما نلمحه في أشعار اللصوص والفتاك، وقد حملت أيضاً آراءهم الاجتماعية والاقتصادية وعقدهم النفسية التي كانوا يعانون منها[14]، وهو ما عمد إليه الأحيمر السعدي الذي لجأ إلى السرقة، فيقول مسوغاً سرقاته[15]:

وإني لأستحيي من الله أن أرى أجررُ حبلاً ليس فيه بعيرُ
وأنْ أسألَ المرءَ اللئيمَ بعيرِهِ وبعرانُ ربّي في البلادِ كثيرُ

وإذا كان الأحيمر قد عمد إلى السرقة للتخلص من وطأة الفقر القاسية رافضاً التذلل وسؤال اللئيم فـ"كثيراً ما أحال التكسب والسؤال الشعراء إلى شذاذ سوقة على أبواب ممدوحيهم بهيئة سلوكية منحطة"[16]، فهذا المغيرة بن حبناء يؤكد هذا الأمر في قوله[17]:

لقد كنتُ أسعى في هواك وأبتغي رضاكَ وأرجو منك ما لستُ لاقيا
وأبذلُ نفسي في مواطنٍ غيرُها أحقُ، وأعصي في هواكَ الأدانيا
حفاظاً وتمسيكاً بما كان بيننا لتجزيني مالاً أخالكَ جازيا

إن هذا العطاء الممزوج بالمهانة والمسكنة قد يورث في نفس الشاعر ميلاً للذل، مما يحدو به لردة فعلٍ عكسية طلباً للخلاص المبكر من وقعه عليه، وقد تكون ردة فعل الحطيئة في الدعاء بالموت على أهل بيته كبيرهم وصغيرهم تدخل في هذا الباب، إذ يقول[18]:

أَشْكُو إليكَ فَأشْكِني ذُرِّيَّةً لا يَشْبَعُونَ وأُمُّهُمْ لا تَشْبَعُ
كَثُرُوا عليَّ فلا يمُوتُ كبيرُهُمْ حتّى الحِسَابِ ولا الصَّغِيرُ المُرْضَعُ

ويجسد الخوف من الفقر بجلاء ووضوح في الشكوى الممضة للعاذلة المعترضة على إنفاق المال والسخاء في العطاء، فالمرأة تخشى أن يفضي ذلك إلى العدم ويكون العيال أول ضحاياه، وفي هذه المسألة يقول النمر بن تولب[19]:

أرى أمناً أضحتْ علينا كأنما تحللها من نافضِ الورد إفكلُ
فقالتْ: فلانٌ قد أعاشَ عيالهُ وأودى عيالَ آخرونَ فهزّلوا

فالشاعر هنا يصف زوجه وكأنها قد اصيبت برعدة لمّا رأته يسقي الألبان للضيوف ولا يترك منها شيئاً لها ولعيالها، وتقول: بأنه قد أعاش عيال الآخرين وهزل عياله، ولا يرودنا أدنى شك بأن المرأة حريصةٌ على كيانها الأسري، ولكنها ها هنا الصوت المعبر عن الجانب الخائف من الشاعر بلسان العاذلة لا لسانه ليمنح فعله في الجود صفة الإصرار والجلد إزاء الحالة الثانية والمتمثلة بالهواجس المرفوضة إجتماعياً، وليس ببعيد عما سردنا قول ربيعة بن مقروم الضبي[20]:

يامن لعذّالةٍ لومي سجيّتها ولو أصابتْ سداداً لأتقتْ عذلي

تقولُ: أهلكتَ مالاً لو قَنِعْتَ بهِ أغناكَ عن طولِ تزْحالٍ وعن عملِ

وما الملامةُ في شيءٍ وُقيتُ بهِ عِرضي وباعدني من شائن النحلِ

إن مستويات الخوف من الكرم تتفاوت وبحسب الحالة النفسية للإنسان عامة والشاعر خاصة، فتارة تذكو جذوة الكرم في نفسه وتارة أخرى تخبو، وفسر بعضهم هذه الإزدواجية بأن للعربي نفسين، نفس تدعو إلى الكرم وتدفع إليه، ونفس تزين البخل وترغب فيه، وهذا ما كانت عليه إجابة صديق النمر بن تولب حينما أتاه مع ناس من قومه يسأله في دية إحتملوها[21]، إذ يقول في هذه الحادثة[22]:

أما خليليّ فإني لستُ مُتعْجَلهُ حتّى يُؤامِرَ نَفْسَيْه كما زعما

نفسٌ لهُ من نفوسِ القومِ صالحةٌ تُعطي الجزيل ونفسٌ ترضُعُ الغنما

وهذا يؤكد لنا بما لا يقبل الشك أنّ الشاعر مسكون بهواجس الخوف المتناقضة، لذا فهو في حالة من الكرم الحاتمي حيناً، وذلك عندما تتوارى مشاعر الخوف عنه، ويصبح على العكس تماماً عندما تلتهب تلك المشاعر وينتابه القلق في نفسه الوجلة، ومن هذا المنطلق مدح الشعراء الكريم الذي لا يعير اهتماما لتلك

المشاعر ولما يترتب عن كرمه، ولا يبالي بتحذيرات أهله وخلانه لما سيجره عليه الكرم، وهو ما أكد عليه متمم بن نويرة في ممدوحه[23]:

لعمري لنعم المرء يطرقُ ضيفهُ إذا بات من ليل التمام هزيعُ

يقولُ: لما في رحلهِ غير زُمَحٍ إذا أبرز الحورُ الروائعُ جوعُ

ولا ينحصر الخوف من الفقر في إطار الحاجة أو العوز وإنما يتعدى ذلك إلى الآثار الاجتماعية الناجمة عنه، وما يخلفه من تفكك في الروابط وتصدع في العلاقات، فكثير من الوشائج محكومة في نظر الشاعر الإسلامي بحالتي الثراء والعدم، فتزداد قوة إذا حسنت الحال الاقتصادية وتسوء إذا ساءت، فالغنى يكسب المرء الأصدقاء والخلان، والفقر ينفرهم منه ويجنبهم مخالطته، والغنى يمنح الرأي السديد والحصافة إن كان سخيفاً، أما الفقر فإنه يسفه الرأي الصائب ويُلونَه بالفجاجة، فخلاصة القول أنه ليس من صفة يمدح بها الغنى إلا ذم بها الفقير، فإذا كان شجاعاً قيل متهور أهوج، وإن كان وقوراً قيل بليد، وإن كان لساناً قيل مهذار، وان كان زميتاً قيل غيي[24]، ويصور لنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هذا المعنى في قوله[25]:

ويزري بالفتى الإعدامُ حتّى متى يُصبِ المقال يُقل أساءَ

وقيل أيضاً في هذا المعنى على لسان النمر بن تولب يصف حال الناس[26]:

ويُعجبهم مَنْ رأوا عندهُ سواماً وإنْ كان فيه الغمرُ

ولا يبتعد يزيد بن الحكم الثقفي عن هذا المعنى حين جعل من المال المحك في المفاضلة والتمييز، فالإنسان يرقى إلى محل السيادة إذا كثر ماله ولان عيشه ويصد عنه إذا قل ماله وذهب رخاؤه فالمال يعز والفقر يذل، إذ يقول[27]:

والمرءُ يُكرمُ للغنا ويُهانُ للعدم العديم

ويبدو التبرم بالفقر على أشده عند الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في قوله[28]:

غالبتُ كتلَّ شديدةٍ فغلبتها والفقرُ غالبني فأصبح غالبي

إن أُبدهِ يفضح وإنْ لم أُبده يَقتُلْ فَقُبِح وَجْهُهُ من صاحبِ

وهكذا رأينا طرق المواجهة والتكيف مع إحساس الإنسان الممض بقسوة الفقر ولكنه لم يتخل ابدا عن كرمه وقيمه الاجتماعية الحميدة على الرغم من الخوف إلا ما ندر.

المبحث الثاني : الحيـــوان

إنّ الإنسان معرضٌ في حياته لمخاطر جمّةٍ ومواجهاتٍ عدة، يمثل الحيوان أحدها، ولاشك في أن الخوف انفعال ينتاب الإنسان والحيوان على حدّ سواء، وقد يكون الحيوان باعثاً لإظهار مشاعر الخوف لدى الإنسان ومثيراً لها، وقد يكون العكس فيظهر الخوف الذي يكابده الحيوان حين يداهم بخطر الإنسان، وقد ينبثق الخوف من الصراع الذي يتوزع الحيوان طرفيه، فالخوف يتعاظم في حالة الصراع، والصراع يقع في عالم الحيوان كما يقع في المجتمع البشري، وتجلى النمط الأول في الحيوانات التي تمثل مصدراً لخوف الإنسان : مثل الأسد والذئب والحية وغيرها.

ف**للأسد** حصة الأسد . كما يقال . في استئثاره باهتمام الشعراء لاسيما في غرضي الفخر والمديح مظهرين جانب القوة والبطش فيه واصفين ما في هيئته ما يبعث الرهبة منه والانصراف عنه، فها هو حسان بن ثابت يصف المسلمين مادحاً بقوله[29]:

فتيانُ صدقٍ كالليوث مساعرٌ منْ يلقهمْ يومَ الهياج يعردُ

ويصف زيد الخيل نفسه بالأسد الورد ذي اللبد الذي يثير في خصمه الخوف والرهبة قائلاً[30]:

لما أحس بأن الورد مدركهُ وصارماً وربيط الجأشِ ذا لبدِ

نادى إليَ بسلمٍ بعدما أخذتْ منهُ المنيةُ بالحيزومِ واللغدِ

وقد وقف أبو زبيد الطائي في- قصائد كثيرة- عند الأسد ذاكرا طبائعه وسلاحه في الصولة والهجوم، مازجاً صفاته الحسية بالمعنوية لإظهار الصورة المؤثرة في النفس رهبة وخوفاً، فيمعن في وصف الأسد محذراً منه قائلاً[31]:

فلا يعْلِقَنكُم مِهْصَرُ النابِ عَنْبَسٌ عبوسٌ لهُ خلقُ غليظٌ غَضَنْفَرُ

لهُ زُبَرٌ كاللبد طارتْ رعابلاً وكتفان كالشرخين عَبلٌ مُضَبَّرُ

يُعرِّدُ منه ذو الحفاظ مدججاً ويَحْبِقُ منه الأحمريُّ منهورُ

ويصف زئيره بأنه يقلع رؤوس الجبال العاديات[32]، ومخالبه خشنة تفتك بمن يقع تحت قبضتها، وعيناه تقدح شرراً متطايراً[33]، وسريانه بلا صوت في الليل البهيم[34]، وإنقضاضه يرتجف له الشكس العسر[35]، وغيرها من الصفات التي رصدها بعين المتابع المترقب. ولولا الخوف الذي يعتمر نفس الشاعر من الأسد لما أضفى عليه هذه النعوت المرعبة، ولما أستغرق كثيراً في رسم صورته المفزعة وتفاصيله الدقيقة في أكثر من نص، فالشاعر هنا يسقط إحساسه المؤلم وشعوره الممض بقسوة الأسد وبراعته على الأشياء والشخوص، وهي تمثل في حقيقة الأمر جزاءً من ذاته، بل ربما هي ذاته كلها، فالأشياء والشخوص تفقد خصوصيتها في القصيدة، فالشاعر (يندمج في الأشياء فيضفي عليها مشاعره وقد قيل أن الفنان يلون الأشياء بدمه)[36].

و**للذئب** نصيب مما ترك الأسد في النفوس من خوف ورهبة، ومن المعروف عن الذئب محبته للدم، ويبلغ بطبعه أن يرى ذئباً مثله وقد دمي فيثب عليه فيمزقه، ويقولون ربما ينام الذئب بإحدى عينيه ويفتح الأخرى، ويصف حميد بن ثور الهلالي هذه الظاهرة في قوله[37]:

ينامُ بإحدى مقلتيه ويتقي بأخرى الأعادي فهو يقضانُ هاجع

وهو حيوانٌ مكروهٌ يضرب به المثل في الغدر والخديعة، وفي الضراوة والشدة، وفي البأس والجرأة على بلوغ مآربه وإصراره على تنفيذ ارادته[38]، وهي أبرز سماته الملازمة له والتي توجب الحذر منه والانتباه إليه، ومن هنا فإن الشاعر إذا أراد أن يظهر بمظهر القوي المتماسك الجنان قدم لنا صورة لمصاحبة الذئب، فهذا الفرزدق يرسم لنا لوحة فنية نفسية عن طريق حواره مع الذئب قائلا[39]:

وأطلس عسال وما كان صاحبا دعوتُ بناري موهنا فأتاني
فلما دنا قلتُ: أدنُ دونَكَ انني وإياكَ في زادي لمشتركانِ
فبتُ أُسوي الزادَ بيني وبينهُ على ضوء نارٍ مرةً ودخانِ
فقلتُ لهُ لما تكشرَ ضاحكاً وقائم سيفي منْ يدي بمكانِ
تعشْ فإنْ واثقتني لا تخونني لكنْ مثل منْ– ياذئبُ– يصطحبانِ
وأنت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما أخيين كانا ارضعا بلبانِ
ولو غيرنا نبهت تلتمسُ القرى أتاك بسهمٍ أو شباه سنانِ
وكلُ رفيقي كل رحل وإن هما تعاطى القنا قوماهما، اخوانِ

فالفرزدق في هذه الأبيات يدعو ذئبا في ليلة من ليالي سراه، وحين يدنو هذا الضيف منه يبادره الأخير بحوار دافيء، ويستجيب الذئب لهذه الدعوة الفرزدقية

الكريمة، ويبدأ الفرزدق بإعداد الطعام لضيفه، فتبدو من الذئب تكشيرة يخشاها الفرزدق فيمد يده إلى سيفه ويبدأ حوار يبرز فيه غدر الذئب وكأنه يقول للذئب: (أذهب إلى سبيلك أيها الذئب فإني أتحداك أن تجد مثل ضيافتي لك وحسن لقائي بك عند غيري ممن تظن أنك ستلتمس الزاد عندهم ... وسترى أيها الذئب الصديق أنهم سيقتلونك لا محالة، وستعرف عندئذ معنى ضيافتي وحسن لقائي ... ولكنك على الرغم من ذلك تبقى رفيقا حميما وأخا عزيزا طالما أن الأقدار قد جمعتنا في هذه الرحلة الصحراوية المتعبة)[40]؛ وتتميز هذه المقطوعة بإبراز حالة الصراع النفسي فضلا عن توفر عنصر الانفعال الذي ساور الشاعر خلال حواره الهاديء مع العدو الغادر وهو الذئب.

ويدعي الشاعر عبيد بن أيوب العنبري بأنه قد أصبح رفيقا للذئب قائلا[41]:

أراني وذئبُ القفرِ خدنين بعدما تدانى كلانا يشمئزُ ويذعرُ

إذا ما عوى جاوبتْ سجعَ عوانِهِ بترنيمِ محزونٍ يموتُ وينشرُ

وهو لا يخدعنا بادعائه آلفة الذئب بدليل حشده مجموعة من الألفاظ الدالة على عدم الآلفة كالاشمئزاز والذعر ثم إنه يجيب عوائه بترانيم حزينة تبعثها نفس من يحس بدنو الموت واقتراب الأجل وهو يعلم ان عواء الذئب مصدر خوف آخر لا يقل ضراوة عن مواجهته إذ أن الذئب أشد السباع مطالبة، وإذا عجز عوى عواء استغاثة فتتسامع به الذئاب فتقبل عليه حتى تجتمع على الطريدة فتأكلها، وليس في السباع من يفعل ذلك غيرها.

ويرسم لنا مالك بن الريب لوحة من الرعب من خلال صراعه مع ذئبٍ في ليلة مظلمة قائلاً[42]:

ألمْ ترني يا ذئبُ إنْ جئتُ طارقاً تُخاتلني أني امرؤٌ وافر اللبُ

زجرتُكَ مراتٍ فلمّا غلبتني ولم تنزجرْ نهنهتُ غربك بالضربُ

فصرتُ لقىً لما علاك ابن حرةٍ بأبيض قطاعٍ ينجي من الكربُ

فهاهنا يعرض لنا الشاعر مشهداً يكتنفه القلق والخوف بألفاظ تفرض وقعها على شاشة التخيل، فنحن أمام حيوانٍ يأتي ليلاً متسحباً كالسارق، متربصاً بفريسته، مختالاً بقوته، محاولاً إقتناص فرصة الإنقضاض، ويتواجه الخصمان المتنافسان للحفاظ على حياتهما، ويتسلح أحدهما بسيفٍ لا يفارقه حتى وهو نائم وهوما صرح به الشاعر حميد بن ثور في قوله[43]:

بمن لا ينام الليل إلا وسيفهُ رهينة أقوامٍ سراع إلى الشغبِ

فهو نائم على وجلٍ يعلم أنّ أمراً طارئاً سيحدث، وتكتمل اللوحة المرعبة عندما يحاول شاعرنا زجر الذئب الجائع الذي يعاني نوعين من الخوف أحدهما خوف الموت من الجوع، والآخر الخوف من مواجهة الخصم القوي، مما يدفعه لخوض غمار معركة دامية تنتهي بمصرعه بسيف قطاع ينجي من الكرب.

و**الحية** حيوان مزعج مخيف يدب في الأرض بلا صوت وبحركة إنسيابية لا يشعر بها المقابل إلا وهي بين يديه تقدم له سماً على طبق من ألمٍ، لذا وصف الشعراء انفسهم بالحية أو وصفوا من واجهوهم بها، وإذا أرادوا تحذير احد من أمر ما شبهه بالحية، وهم في باديء الأمر وخاتمته يحذرون من سمها القاتل أو ما تسببه من ألمٍ جسدي، والذي يعد مبعث الخوف الأول كما يرى علماء النفس[44]، ومهما حاول الإنسان تقليل رهبته من الحية فأنه في الأغلب معرض للفشل فهو لا يمكنه محو العداوة بينه وبينها، وكأن الإنسان يجد فيها صورة إبليس الذي أغوى آدم وحواء (عليهما السلام) وخدعهما فكان هذا الربط مدعاة لاستمرار كراهيته لها وخوفه منها[45]، فالحية عدوة قوية يرمز بها إلى الشر والأذى وكانوا يحذرون عدوهم بالحية لما تحمله من دلالات سيئة مخيفة لاسيما إذا هيجها إنسان، أو

اثار فيها نوازع العدوان؛ فهذا الأشتر النخعي يفتخر بنفسه محذرا خصمه الذي خرج إلى مبارزته بقوله[46]:

اني انا الأشتر معروف السير اني انا الأفعى العراقي الذكرِ

وهذا التشبيه زرع في نفس خصمه رهبة وخوفا مما دعاه إلى الانصراف عنه وترك منازلته ويحذر الحطيئة من الحية قائلا[47]:

فإيّاكُمْ وحيّةَ بطنِ وادٍ حديدَ النَّابِ ليس لكم بِسِّي

أما **النمط الثاني** من الخوف في هذا المبحث هو ما يسببه الإنسان للحيوان، وقد تشابكت هذه النصوص مع نصوص النمط الثالث والتي تمثل خوف الحيوان من الحيوان، ولاسيما في لوحة الصيد ذات الأطراف الثلاثة. ولكن في معرض الحديث عن الخوف الذي يملأ الحيوان من الإنسان يقدم لنا عبد الرحمن بن حسان تشبيها بغاية الدقة يصف فيه نظرة المهجو الخائف المرتجف بنظرة التيوس التي تنتظر حتفها على يد الجزار في قوله[48]:

لم تنظرون إذا هدرتُ إليكم نظر التيوس إلى شفارِ الجازر

ويشتد خوف الحيوان من الإنسان أو الحيوانات المفترسة عند وروده مشارب المياه حيث يكمن على مقربة منه قاتله يتربص به لينال منه على حين غرة، بيد أنه مدمن على الحذر، وممعن في اليقظة، يتحاشى الوقوع في قبضته، فيعدل عن مبتغاه ويحيد عن مقصده إذا إستشعر خطراً يحدق به ويظل صامتاً، والسبب هو الخوف من عدوه، ويرسم لنا ذو الرمة لوحة فنية يصف فيها الرعب الذي إعترى حمير الوحش من القناص وقد أخطأتهن سهامه على الرغم من يقظتهن دلالة إنتصاب أعناقهن في قوله[49]:

وبالشَّمائِلِ مِنْ جَلانَ مُقتَنِصٌ رَذْلُ الثَيابِ خَفِيُّ الشَّخْصِ مُنْزَرِبُ

مُعِدٌّ زُرْقٍ هَدَتْ قَضْباً مُصَدَّرَةً مُلْسَ المُتُونِ حَدَاها الرِّيشُ والعَقَبُ
كانتْ إذا وَدَقَتْ أمْثالُهُنَّ لَهُ فبعضُهُنَّ عنِ الأُلاَّفِ مُشَعَبُ
حتَّى إذا الوحشُ في أهْضَامِ مَورِدِها تغيَّبتْ رابَها مِنْ خِيفَةٍ رِيْبُ
فعَرَّضَتْ طَلَقاً أعناقَها فَرَقاً ثُمَّ آطبَاهَا خريرُ الماءِ ينْسَكِبُ
فأقْبَلَ الحُقْبُ والأكبادُ ناشَزِةٌ فَوْقَ الشَّراسِيفِ منْ أحْشائِها تَجِبُ
رمى فأخطأَ، والأقدارُ غالِبةٌ فانْصعْنَ، والويلُ هِجَّيراهُ والحَربُ
يقعنَ بالسَّفحِ ممَّا قد رأينَ بهِ وقْعاً يكادُ حَصَى المعْزاءِ يلْتَهِبُ
كأنهُنَّ خوافِي أجْدَلٍ قَرِمٍ ولَّى ليَسْبِقَهُ بالأمْعَزِ الخَرَبُ

وقد أجاد في وصف فرارهن عند عين الماء التي لم تشف غليلهن من العطش حتى رماهم القناص بسهام فأخطأتهن، فهربن مسرعات يكاد يلتهب حصى الأرض من القدح بحوافرهن، وفي سرعتهن كأنهن الطيور لارتفاع قوائمهن عن الأرض.

بينما **النمط الثالث** من الخوف في موضوعنا قد يكون الإنسان أحد طرفيه بصورة غير مباشرة عندما يعمد الصيادون إلى ترويع طرائدهم بالكلاب المدربة على الصيد، وهي عدوة لدودة للثور الوحشي، فتثير فيه الخوف والرعب، وهو في حومة هذا الخوف لابد أن يرضخ لأحد الاختيارين، إما أن يلوذ بالهرب والتسليم بالواقع المؤلم، أو خوض القتال والمناجزة مرغماً، ومتخذاً من قرنيه دريئةً يذود بها عن نفسه بطعنات نافذة، وفي الغالب يقدم الشاعر صورة الصراع هذه بين الحيوانات رمزاً للصراع بين البقاء والفناء، فها هو سويد بن أبي كراع العكلي يرسم صورة رائعة لصراع مطاردة كلاب الصيد لثور الوحش فينتصر عليها جميعاً

ويمضي رمزاً لانتصار الحياة على الموت، فالشاعر جسد معالم الصراع في جانبيه المادي والنفسي في قوله[50]:

فلم يرَ إلا سبعةً قد رَهَقْنَهُ حواني في أعناقهنَّ القلائدُ
لهُنَّ عليهِ الموتُ والموتُ دونَهُ على حدِّ روْقيهِ مُذابٌ وجامِدُ
ولو شاءَ أنجاهُ فلمْ تلتبِسْ بهِ لهُ غائبٌ لم يبْتَذِلْهُ وشاهدُ
ولكنْ ردى ثمّ إرعوى حَلِساً بهِ يمارسُها حيناً وحِيناً يطارِدُ
فلا غَرْوَ إلا هُنَّ وهوَ كأنَّهُ شِهابٌ يُفريهنَّ بالجو واقدُ
إذا كرَّ فيها كرَّةً فكأنَّها دفينُ نِقالٍ يختفيهنَّ سارِدُ

والخوف في هكذا صراع يشتمل على طرفيه ولا يقتصر على الطريدة وحدها، فالكلاب ها هنا يداخلها الخوف أيضاً على الرغم من كونها المبادرة بالهجوم فضلا عن كثرتها، مما يدفع الثور الوحشي لاستخدام قرنيه القويتين لردعها، فيصيب بهما بعض الكلاب المهاجمة أو يحملها على الانسحاب من الميدان خائبةً يائسةً، فالكلاب السلوقية التي أردى الثور بعضاً منها تسرب الرعب إلى قلبها فلم تجرؤ على معاودة الهجوم ثانية ليخرج الثور من المحنة ظافراً[51].

أما **النعامة** فهي عداءة يعجز الفرس عن اللحاق بها في العدو وقد قرن الشعراء رواحلهم بها لينعتوها بالسرعة الفائقة أو يظهروها بمظهر الحدّة والنشاط، فنشاط النعامة يزداد إذا أرعبها أمر ما أو داخلها فزع منه[52]، وانطلاقا من هذه الصورة العالقة بذهن الشاعر قدم ذو الرمة في صورة الظليم ونعامته تجربة ولوناً جديداً من ألوان التعاطف مع الحياة والذب عنها فالظليم الذي ألهاه التنوم والرعي دهمه الليل فراح يسوق نعامته وقد بعدت افراخهما واعترهما خوف عليهم وراحا يعدوان سراعاً وكأنهما دلو بئرٍ انقطع حبلها فانحدرا سقاطاً[53]:

لا يا منان سباع الليل أو برداً إن اظلما دون أطفال لها لجبُ

فهذا الإحساس بالقلق تجاه الحياة وليد حياة شاقة غير مطمئنة مبعثها هذا المدى اللامتناهي الذي يمكن أن يولد في نفس الإنسان ألوف الفكر وشتى الأحاسيس القلقة الهاجسة فأسند هذه العواطف والأحاسيس للحيوانات، وإنما هي عواطف وأحاسيس ومواقف ذي الرمة قبل أن تكون أحاسيس ومواقف للحيوانات نفسها، فهو عن النفس الباطنة يصدر لا العين الظاهرة[54].

وهناك صور أخرى لخوف الحيوان منها الرهبة التي تسكن الطائر من الحيوانات المفترسة كالذئب، وقد وجد الراعي النميري في هذه اللوحة وما فيها من خوف معادلاً موضوعياً لتجربة واقعية وفرصة سانحة لعكس همومه التي طغت عليه وملأت نفسه وأقضت مضجعه، واصفاً نفسه أمام الخليفة عبد الملك بن مروان بقوله[55]:

كَهُداهِدٍ كَسَرَ الرُّماةُ جَناحَهُ يَدْعُو بِقارِعَةِ الطّرِيقِ هَدِيلا
وَقْعَ الرَّبيعِ وقدْ تَقَارَبَ خَطْوُهُ وَرَأى بِعَقْوَتِهِ أزَلَّ نَسُولا
مُتَوَصِّح ٱلأقْرابِ فيهِ شُهْبَةُ نَهِشَ اليَدَيْنِ تَخَالُهُ مَشْكُولا
كَدُخانِ مُرْتَجِلٍ باعلى تلْعَةٍ غَرْثانَ ضرَّم عَرْفَجاً مَبْلُولا
ولَئِنْ سَلِمْتُ لا دْعُوَنَّ لِظَعْنَهُ تَدَعُ الفَرائِضَ بالشُرايْفِ قليلا

إنّ الحديث عن الحيوان أخذنا لزوايا متعددة من هاجس الخوف، تمثلت بتنوع أنماطه وتعدد صوره التي وظفها الشاعر لتكون تعبيراً صادقاً عن الخوف الذي يجول في نفسه ليس من الحيوان فحسب بل من هموم الحياة وقسوة الظروف.

المبحث الثالث : المكـــان

لا شك أن المكان من الرموز المادية التي تبعث الخوف في النفس، فيصير قول الشعر استجابة طبيعيةً لما يراود النفس من هواجس، إذ يصبح العامل المكاني عنصراً من عناصر الخوف لدى الشاعر بكل ما يمكن أن يحققه من قلق، فهو قدر بيئي من مدركات الإنسان، ولكنه مدرك يُحمل الذات حصة من الخوف تظل تعمل عملها فيه[56]؛ وعلى هذا فإن الأمكنة التي تظهر على صفحة العمل الفني صور حُبلى بمضامين التجربة النفسية للشاعر وموحية بدخيلة نفسه ومعبّرةً عن واقعه بما فيه من مآس ومباهج وليست حشواً يجاءُ به دونما وظيفة أو فائدة[57]؛ فحينما يأنس المرء احداثاً مبهجة في مكان ما يهش لها فيلقي ظلال نفسه الفرحة على ذلك المكان ويتشبث فيه، ويتبرم بالمكان ويستوحشه إذا غامت أجواءه وساءت أحداثه، فالنفس الوجلة التي تستشعر خطراً تضيق بالمكان بل إن صاحبها تحت وطأة الخوف يرى كل شيء معادياً له متربصاً به ساعياً إلى كتم أنفاسه وقد يؤثر عليه الخوف إلى درجةٍ تجعله لا يرى في الارض مكاناً يلوذ إليه على الرغم من رحابتها وامتدادها؛ فعلى سبيل المثال نجد أن قصراً ما قد يمثل لدى شخص معين في حالة نفسية هادئة ومطمئنة إنموذجاً حياً لحياة الرفاهية والترف وملاذاً آمناً مطمئناً وقد تتغير هذه النظرة للمكان ذاته لدى الشخص نفسه عند مروره بحالة من الخوف فيرى جدران القصر العالية سجناً خانقاً وأبواباً موصدةً تفضي به إلى الهلاك.

ويرتبط المكان لدى الإنسان بالحركة والسكون، والعتمة والضوء، والصمت والضوضاء، والضيق والسعة، والعلو والانخفاض، ففي القرن التاسع عشر نشر أحد علماء النفس تقريراً عن ثلاث حالات من الخوف من الأماكن المتسعة وليست الأماكن المنخفضة والأماكن المغلقة والمرتفعة والمظلمة بمنأى عن إثارة

الخوف وتحريك مجساته[58]؛ وانطلاقاً من هذا المبدأ تم التعرف أو محاولة التعرف على عدد من الأماكن التي مثلت دافعاً في نظر الشاعر الإسلامي لقول الشعر في إحساس يجسد مشاعر الخوف، فا**لصحراء** بكل ما تحمله من مخاطر وما تنطوي عليه من آلام لسعة مساحتها وقلة مواردها التي يخشى معها من الهلاك، فضلاً عن اختلاط هذه الصحراء بأصواتٍ مرعبةٍ وأجواءٍ مظلمةٍ ملأى بالأخطار والأهوال؛ وشارك **البحر** في إبراز الخوف أيضاً، وكان **للجبال** و**الوديان** و**السجون** و**الثغور** و**القبور** نصيب هي الأخرى في إظهار ملامح الخوف؛ وقد تلونت مشاعر الخوف وتعددت طرائق التعبير عنه لدى الشعراء الإسلاميين.

وحظيت الصحراء بحظوةٍ كبيرةٍ في إثارة الخوف وزرعه في النفوس، فهي تمثل للعربي من جهة مسكنه الذي يأوي إليه ويعيش فيه ويرتبط به ارتباطاً وثيقا، ومن جهةٍ أخرى تمثل بما تحمله من فضاء مترامي الأطراف سبيلاً لزرع المخاوف في النفس ولا سيما عندما تتظافر معها عوامل عدة كالظلام والحر وقلة الموارد المائية، وقد عزا الحطيئة تردد ناقته في إكمال المسير لفقدنها بوصلة الطريق بسبب مجاهيل الصحراء، وقد شارك الحر أيضاً في إثارة خوفها من الهلاك وسط هذه الصحراء الواسعة، إذ يقول[59]:

مُشمِرّةٌ إذا اشْتَبَهَ الفيافِي عَثَمْثَمَةٌ إذا مُنِعَ المَقِيلُ

وحقيقة الأمر أنّ هذا التردد والاحساس الممض بقسوة الصحراء لم يكن ينبع من نفس الناقة بل من نفس صاحبها، فإذا كانت حيوانات القفر تعالج الحيرة وهي تعيش فيها، فإن سالكها أحق بالقلق والتوتر، فهذا أبو الأسود الدؤلي يصف القطا وهو من سكان الصحراء بل من أهدى طيورها يموج بالحيرة والخوف في أكنافها قائلاً[60] :

وصحراء سختيت يحارُ بها القطا ويرتد فيها الطرف او يتقصبُ

قطعتُ إذا كان السرابُ كأنه سحابٌ على أعجازه متنصبُ

فهذه الأرض الفضاء التي تتشابه فيها الأرجاء مصدر خوف ولاجتيازها يحتاج المرءإلى دابة قوية قادرة على تحمل المسير في ظل الحر والهجير كقول خفاف بن ندبة السلمي[61]:

وأهبط العازب المخوف به أطوي النهار بسابح نهد

والظلام عندما يتحد مع هذا العنصر المكاني ليكون أقسى أنواع الخوف بما يجلبه الظلام من رهبة وفزع، وخير دليل قول الطرماح[62]:

وخرقٍ به البومُ ترثي الصدى كما رثتْ الفاجعُ النائحه

تجاوزتُ بعد سقوط الندى سوانح أهواله السانحه

إن تشبيه الشاعر صوت الصدى في هذه الارض المظلمة بصوت الناعي يدل دليلاً واضحاً على شدة الخوف الذي هو عليه والتشاؤم الذي تمكن منه؛ فهذه الصحراء المظلمة تبعث في النفس هواجس كثيرة, وقد لا يصرح الشاعر بهذه المخاوف مباشرةً وإنما نستشفها من بين ثنايا شعره، فتعجل سريانه في ليل مظلم ليس فيه إلا ضوء النجم البعيد دليلاً آخر على خوفه، فهذا الكوكب لا يكفي لإزالة الخوف بنوره[63]، يقول الراعي النميري[64]:

لا يَتّخِذْنَ إذا علونَ مفازةً إلّا بياضَ الفَرْقَدَيْنِ دليلا

إن استثناء الشاعر للون الابيض لا يعني فيما يعني سوى ان ما يحيط به مظلم، وهذا بالتالي يؤدي الى توليد الخوف شاء الانسان أم أبى؛ ويفصح الشاعر ربيعة بن مقروم الضبي عن خشيته من القفر التي لا ماء فيها ولا أعلام مستوية كل الاستواء وبعيدة الأصداء في ليل مظلم بهيم يتضافر معه الصوت ليحرك في نفسه الخوف قائلاً[65]:

في مهمةٍ قذفٍ يخشى الهلاك به أصداؤه ماتني بالليلِ تغريدا

فهنا يمثل لنا الشاعر حالة من الخوف تعشقت مع زوال عنصر مهم من عناصر قتل الخوف هو الضياء؛ فضلاً عن الأصوات التي تبعث في النفس القلق وتزرع الرعب, فالأصوات عوامل داخلية بالضمن في علاقة المكان بالشاعر إذ تبعث في نفسه خيفة وتشترك في رسم صورة القلق في ذهن الشاعر فيتشاءم مما سيواجهه في هذا المكان أو ذاك، فالبوم وهو مما يتشام منه العربي يسمع صوته في الأرض المظلمة وما صوت البوم إلا هاجس يؤرق النفس بتوقع المكارة والأخطار يقول يزيد بن حكم الثقفي[66]:

بكل يفاع بومها تسمع الصدى دعاءً متى ما تسمع الهام تنأج

فهذه البوم تجعل أرواح الموتى مرددة لها وتصيح معها؛ ويشارك صوت آخر في بعثرة ما تبقى في النفس من تماسك وقوة ألا هو صوت الجن، فيلجأ الشاعر الى الإحتماء بالسلاح ليهدأ من روعه وليشعر ببعض الأمان، وهو ما عمد إليه حسان بن ثابت إذ يقول[67]:

رُبَّ خَرْقٍ أجَزْتُ مَعْلَبَةِ آلجِنُ وَمَعِي صَارِمُ آلْحَدِيدِ إباطِي

وهذا شاعرنا ذو الرمّة الذي يلاحظ في شعره أن الصحراء لازمة من لوازمه, حتى لكأنها محفرة في ذهنه حفراً فلا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من ذكر الصحراء ووصفها, ولا عجب فانه شاعر الصحراء, عاش ومات فيها؛ مما أشكل والحالة هذه, واقعاً نفسياً في نفس الشاعر, حتى ليخال لك وكأن الصحراء جزء من نفسه, ومن هنا يصح القول, أن ذا الرمّة يصف الصحراء من داخل نفسه وروحه إذ كان شديد الحس بها[68], يصف الفلاة قائلاً[69]:

ودويّة مثل السماء اعتسفتها وقد صبغ الليل الحصى بسوادِ

بها في حسيس القفر صوت كأنه غناء اناسي بها وتنادِ

فكأنه صوت مردد تنادي الجن بعضها بعضا أليس هذا خوف محفور في حواس الشاعر وواقع نفسه فهو عمد إلى تصوير صوت الفلاة وما يتوهمه السائر فيها من أصوات هي اشبه بالغناء والأصداء المترددة في أرجائها, فللجن في الصحراء وقع شديد, وخوف عظيم في النفوس تقتضي دراسته عناية خاصة لكونه يمثل الجانب المفترض أو الجانب الذي يحكمه الخيال من المكان والجن كما يدل عليه معناه كائن مستتر يحتجب عن الأبصار ولا يخالط البشر وظنوا أن له بلاداً خاصة تسمى الحوش, والحوش تعني الظلمة والقوة والعنف[70], وارض الحوش لا يدخلها داخل إلا ويخرج منها وبه مس[71]، وقد انزل العرب الجن مراتب وأصنافاً وتصوروا لها هيئات وأشكالاً وألواناً غريبة , فقد ذكر العباس بن مرداس تلونه وتشكله بصور شتى قائلا[72]:

أصابت العام رعلا غول قومهم وسط البيوت ولون الغول ألوانُ

وقد ذكر العرب أمكنة كانت مساكن للجن وأشهر هذه الأمكنة وادي عبقر فقرنوا بجنة كل عمل رفيع يقدمونه عليه، وكأنه من عمل الجن ولا طاقة للإنسان عليه فهناك العلم العبقري, والسيد العبقري والظلم العبقري[73]، بيد ان هذه الأمكنة لا وجود لها على أرض الواقع إنما هي أمكنة مظنونة متخيلة لا مستقر لها إلا في الذهن أو في الواقع الشعري[74].

إن مخيلة الشاعر وهو يجول الصحراء أسقطت صورة الجن على أبصارهم كما أسقطت صوته على سمعهم، فسمع ما لا يسمع من عزيفه المفزع الذي يتآزر مع وحشة الصحراء كلما جنّ الليل ودمس الظلام، والمقال في هذا الموضع طويل ومتشعب.

إن قحل الصحراء الناجم عن قلة المياه فيها شكّل خطراً رهيباً على حياة الإنسان والحيوان على حد سواء، وقد حشد الشعراء كل المفردات الدالة على جدبها، ومنها قول الراعي النميري[75]:

غبراءَ يهماءَ يخشى المدلجون بها رَبِعَ الهُداةِ بأرضٍ أهلُها شِيعُ

صفرُ الحناجرِ لغواها مُبَيّنَةٌ في لُجّةِ اللّيل لما راعَها الفَزَعُ

وقد يعثر السفار على منهل هنا او هناك من أرض الصحراء, بيد أنه غالباً ما يكون دارساً أجن الماء متغير اللون تعلوه الطحالب فلا يغني كثيراً، وان الطريق الى هذه المناهل لم تكن سهلة مأمونة , بل كانت محفوفة بمخاطر كثيرة إذ أنه مكان غالباً ما يكون ملتف الأغصان مليئاً بالأشجار الشائكة، فضلا عن كونه مكاناً تعتاده الوحوش، حيث يقول النمر بن تولب فيه[76]

ومنهلٍ لا ينام القوم حضرتهُ من المخافةِ أجنٌ ماؤه ظامتي

قد بتُ أحرسه وحدي ويمنعني صوتُ السباعِ به يضبحن الهام

ويمثل **البحر** هاجساً آخر فهو على الرغم من وروده كثيراً في الشعر العربي في أغراض المدح إذ يوصف الجواد بالبحر كرماً وعطاء إلا انه يمثل في حقيقة الأمر مكاناً فيه من المخاطر ما فيه، فهو يصور بوحش كاسر يلقم كل ما يدخل فيه، يقول زياد الأعجم[77]:

إنّا وما تهدى لنا إنْ هجوتَنا كالبحر مهما يُلقَ في البحر يغرقُ

إن لموج البحر يد تبطش تماما كيد الحرب كلاهما يدفع لمواجهة الموت، وفي هذا المعنى يقول نهشل بن حري[78]:

ومولى تداركناهُ من سوء صرعةٍ وقد قذفته الحربُ في لججٍ خضر

كما انتاس مغموراً من الموت سابح بأسباب صدقٍ لا ضعاف ولا بتر

ويصرح بكر بن النطاح بأن البحر يجب أن لا يكون موضع مدح فقط ويطلب التمهل في إصدار حكم كهذا إذ أنه مليء بالمخاطر لا يكسب فيه المرء مكسباً إلا بشق الانفس[79]. أما ذو الرمّة فيصور – بدافع نفسي – لجة البحر بعرض الليل، فيجعل الليل عرضا ثم انه بعد ذلك يظل مستشعراً للخوف فلا يهدأ روعه إلا بعد أن يعبر إلى الضفه الثانية قائلاً[80]:

كم جبتُ دونكَ من تيهاء مظلمةٍ تيه إذا ما مغنيٌ جنّها سمرا

ومزبدٍ مثل عرض الليل لجته يهل شكرا على شطيه من عبرا

وتمثل **الأماكن العالية** مصدر مخيف للإنسان، فهو معرض في أعالي الجبال للعديد من الصعاب والمخاطر، فزلة قدم قد تهوي به أسفل سافلين كقول جرير يصف من هو في موقف مرعب يواجه الهلاك[81]:

كانوا كهاوٍ رد من حالقي جبل ومغرق في عباب البحرِ مغموسِ

ويشبه ربيعة بن مقروم الضبي خوفه من الله وقومه بخوف من يقف على مناكب جبل فيقول[82] :

وإذا امرؤ منا جنا فكأنه مما يخاف على مناكب يذبل

ومن البدهي انه لو لم يكن الجبل رمزاً مخيفاً بما يمثله من علو المكان لما شبه به.

و**للأماكن المغلقة** نصيب لا بأس به في إثارة الخوف، فهي عامل مهم بما يمثله السجن للإنسان من عقوبة وعذاب، ولقد برزت موضوعية السجون بأسمائها ومواقعها ووصف الحياة فيها والوسائل المستخدمة للتقييد او المعاقبة, فضلا عن أنواع العقاب والظروف النفسية والجسدية فيها في العالم الإسلامي[83]، فالسجون تكون على شكل حفر أو آبار مظلمة يلقى فيها المسجون إلى حين مجيء أحد

القضائين: الأجل أو الفرج إلا إذا قدم التماسا أو استعطافا إلى ولي الأمر لإخلاء سبيله، أو تذكره حاكمه أو ذُكّر بوجوده في السجن[84]، ودليل ذلك ما ذكرته المصادر من شأن الحطيئة الذي استعطف الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين سجنه لهجائه الزبرقان بن بدر إذ يذكره بإلقائه إياه في قعر مظلمة قائلا[85]:

مَاذا تقولُ لِأفْراخٍ بذي مَرَخٍ حُمْرُ الحواصلِ لا ماءٌ ولا شجرُ

غَيَّبْتَ كاسِبَهُمْ في قَعْرِ مُظْلِمَةٍ فأغْفِرْ عَلَيْكَ سلامُ الله يا عُمَرُ

وقد يطلق الشاعر زفرات مكوية بالألم جرّاء ما يتعرض له في السجن من معاملة سيئة فضلاً عن الخوف حد الرعب من هؤلاء السجانين القساة يقول السمهري العكلي في هذا الشأن[86]:

لقد جمع الحداد بين عصابةٍ تساءلُ في الاسجان ماذا ذنوبها

مُقرّنة الاقدام في السجن تشتكي طنابيب قد امست مبينا علوبها

بمنزلة أمّا اللئيم فآمن بها, وكرام القوم بادٍ شحوبها

إذا حرسي قعقعَ الباب اردعتت فرائض أقوامٍ, وطارت قلوبها

وتعد **الثغور** من الأماكن المخيفة، فشبح الموت يطارد الإنسان فيها، فيصير موحشاً مرعباً ولاسيما عندما يكون مرصداً للموت، إذ يطالعنا الثغر في الشعر العربي ليمثل حالة الخوف والهاجس المقلق في حياة الشجعان، إذ لطالما وصف بالمخوفِ والخائف والذي يتحاشاه الشجعان ويفرق من مخافته الجبان، فالثغور مواضع أشبه ما تكون بخطوط رصد وقوة مواجهة للأعداء, أقامها العرب على أطراف البلاد, وكانوا يكمنون فيها تحسباً للطوارئ ودرءاً للأخطار، وكانت هذه الثغور محفوفة بالمخاطر لاحتمال خرقها من الأعداء, فضلا عما تتسم به هذه

الثغور من خصوصية تتمثل في الوحشة والجدب على نحو لا تتأتى الإقامة فيه إلا لأولي المكنة والمراس, ومن هنا عدت الإقامة فيها صورة مجسدة لروح التحدي والإباء العربيين ضد من كان يريد إلحاق الاذى بهم, وينظر إلى أرضهم بعين طامعة مغرضة، وهذا السبب وراء فخرربيعة بن مقروم الضبي بالإقامة في ثغر مخوف يتحاشى الآخرون الإقامة فيه إذ يقول[87]:

وثغرٍ مخوفٍ أقمنا بهِ يهابُ به غيرنا أن يقيما

وإذا كان ربيعة قد فخر بنفسه عند إقامته في ثغر مخوف نافياً عن نفسه أي إحساس بالخوف، فإن القعقاع بن عمر التميمي يعترف بأنه يلاقي أموراً عظاماً عند إقامته في الثغور ولكن خوف الله تعالى دعاه للإقامة فيها، فهو يجاهد في سبيل الله تعالى[88]:

فللهِ جاهدنا وفي الفرس بُغية ونحنُ على الثغر المخوف نسائلُ

وأنتم عنادٌ إن ألمتْ ملمةٌ وحلتْ علينا في الثغور الجلائلُ

ويكاد يجمع الشعراء في كون الثغور مواضع مخافة ويّصرح بذلك الفرزدق بقوله[89]:

وثغرٍ تحاماه العدو كأنهُ من الخوفِ ثأر لا تنام مقانبهُ

وبإمكان المرء تجنب جميع تلك الأمكنة إلا **القبر**، فإنّه يظل المكان الوحيد الذي مهما حاول الفرار من قبضته فإنه داخل له وساكن فيه لا محالة، ويبدو الخوف من القبر نابعٌ مما يلاقيه الإنسان في جوفه من عذابات وآلام، يقول سابق بن عبد الله البربري[90]:

وبعد دخول القبر يا نفس كربةٌ وهول تشيب المرضعين زلازله

وهو ما يتفق معه جرير، فالقبر عنده مكان للغم والثبور فيقول[91]:

لعلك ترجو أن تنفس بعدما غُمِّمتْ كما غَمّ المعذب في القبرِ

وربما يكون باعث الوحدة والتفرد سبباً في الخوف من القبر، إذ نجد ليلى الاخيلية ترى في دخول القبر جوهر الهجران، فلو كان الإنسان حياً لُرجي لقاؤه أما إذا سكن القبر فقد أوصدت الأبواب بوجه الأمل في لقائهم من جديد، إذ تقول[92]:

لعمرك ما الهجران ان تشحط النوى ولكنّما الهجرانُ ما غيب القبرُ

وعند فقدان الأمل في لقاء من نحب يصير الإنسان غير مبالٍ بالقبر قنوعاً به مكاناً لالتقاء الأرواح دون خشية منه، يقول جميل بثينة[93] :

أعوذ بك اللهم أن تشحط النوى ببثنة في أدنى حياتي ولا حشتري

وجاور إذا ما متُ بيني وبينها فيا حبذا موتي إذ جاورت قبري

وعذاب القبر وظلمته التي يستشعرها قيس بن ذريح لا تزحزح حبه فيصفه بالبقاء رغم فنائه وفناء محبوبته قائلاً[94]:

ولكنّه باقٍ على كل حادثٍ وزائرنا في ظلمة القبر واللّحْدِ

و(أما قبور السابقين يقف الشاعر وقفه المستقبل الغامض المليء بالخوف والرعب حد التطير من الصورة المكانية, فالقبر لدى الشاعر دالة مكانية تحفز فيه الاستجابة للقلق بأشد صورة المرضية)[95]؛ فنجد أن هناك من يبكي لرؤية القبر لما يذكره به من فناء وزوال كقول الشاعرة[96]:

بكى قلبي لذكر الموت لما رأيتُ جماجماً حوف القبورِ

فهنا بكت الشاعرة من تصور سابق للقبر وللنوم فيه فهي صورة قلقة أحداثها الخوف من المستقبل المفعم بالرهبة من المجهول.

المبحث الرابع : الهـــــرم

الزمن هو امتداد للحركة، غير ثابت على حال، وهذه الطبيعة المتحركة هي التي جعلته يتحد بالوجود ثم العدم، بالحضور ثم الفناء، وهو الذي ينبيء الإنسان بموته وزواله، وعبثية كل وجوده من ميلاده حتى وفاته، وبسبب هذه الحركة السريعة والمروعة في ذات الوقت، نجد أن الشاعر الإسلامي بدأ يدب الخوف إلى نفسه كلما التقى بأمارة من أمارات الزمن، ومن أبرزها **الشيب**، فالشيب طالما كان شبحاً مروعاً يؤذن باقتراب الأجل وانبرام عهد الشباب الجميل وربيع العمر الزاهر لما يمثلانه من قوة وبهجة، لكنه سرعان ما يمضي بهما الزمن ليسلما الراية للشيب المنذر بالهرم والعجز والضعف، فالشيب خطام المنية ونذير الموت[97]، بل إن إحساسهم المر به يدفعهم إلى جعله مرادفاً للموت نفسه[98]، لما ينتج عنه من إحساس بدنو الأجل وانقضاء الحياة، وإذا كان بإمكان المرء الهرب مما يخيفه في شؤون الحياة المختلفة فالشيب لا مهرب منه فهو يعقب الشباب لا محالة، يقول الفرزدق[99]:

أرى الدهَر أيامُ المشيب أمرهُ علينا وأيام الشباب أطايبه
إذا نازلَ الشيبُ الشبابَ فأصلتا بسيفيهما فالشيبُ لابد غالبه
فيا خيرَ مهزومٍ وياشرَ هازمٍ إذا الشيبُ راقت للشباب كتايبه
وليسَ شبابٌ بعد شيبٍ براجعٍ يدُ الدهرِ حتّى يرجع الدَّرُ حالبه

إن مقابلة الشاعر بين الشباب والمشيب تكشف عن ضربٍ من الصراع بين متناقضين يكون للزمان كلمة الفصل بينهما، وهذا الصراع أزلي طالما يكون الشاعر فيه محابياً لأحدهما على حساب الآخر، فيعمد إلى مدح الشباب وتذكره بحسرة وألم وأحيانا ببهجة وسعادة، وما يلبث أن يذكر المشيب حتى ترتعد فرائصه

خوفاً مما يجلبه معه من الحسرة والتعاسة، فهو ضيف ثقيل غير مرحب فيه على حد قول عمر بن أبي ربيعة[100]:

أمسى شَبابَك عنّا الغضُ قد رحلا ولاح في الرأس شيبُ حلَ فاشتعلا
ولّى الشباب حميداً غير مرتجع واستبدل الرأس مني شر ما بدلا
شيب تفرّع أبكاني مواضحه أضحى وحال سواد الرأس فانتقلا
أودى الشباب وامسى الموت يخلفه لا مرحباً بمحل الشيب إذ نزلا
ما بال عرسي قد طالت مطالبتي أمست تجنّى على الذنب والعلا

إنه الضربة القاصمة والنهاية المفزعة لشاعر كانت النساء كل النساء . من وجهة نظره . يطلبن وده ويتغزلن بجماله فشراكهن منصوبات أينما وجه وجهته، واليوم لم يبق الزمان له سوى الهواجس والتحسر لما مضى في غابر الأيام، ومنه قوله[101]:

تقول إذ أيقنت إني مفارقها ياليتني مُتُّ قبل اليوم يا عُمرُ

فكيف تبدل الحال وتغيرت نظرة النساء إليه، وكأن الشيب داء مقيت معد مميت، وهو ما يصوره البعض حين يجعل منه رمزاً للوهن والضعف إذ يصير المرء عاجزاً واهن القوى ويسير بالمرء بخطوات سريعة نحو مصيره الفاني وأجله الحتمي في الزوال والاندثار يقول عدي بن الرقاع العاملي وهو يصف حاله[102]:

وراعهن بوجهي بعد جدته شيبُ تفشغ في الصدغين فأشتعلا
وسار غرب شبابي بعد جدّته كأنما كان ضيفاً خفّ فارتحلا
وكم ترى من قويٍ فكَ قوته طول الزمان وسيفاً صارماً نجلا
إن ابن آدم يرجو ما وراء غدٍ ودون ذلك غول تقتفي الأملا

لو كان يعتق حياً عن منيته تحرز وِحذار أحرز الوعلا

إن خوف الإنسان من الشيب والشيخوخة نتيجة لما يمر به الإنسان من تغير، فبعد أن كان صحيحاً سلمياً قوياً من هيبة الشباب ومنعته ماله صار سقيماً واهن القوى يلفه العجز وتنبذه العيون يقول ساعدة الهذلي[103]:

والشيبُ داءٌ نجيسٌ لا دواءَ له للمرء كان صحيحاً صائب القحم

وسنان ليس بقاضٍ نومة أبدا لولا غداة يسير الناس لم يقمِ

في منكبيه وفي الاصلاب واهنةٌ وفي مفاصله غمز من العَسمِ

إن تأته في نهار الصيف لا تره إلا يُجمّع ما يصلى من الحُجمِ

حتى يقال وراء البيت منتذاً قم _ لا أبالك _ سار القوم فأحترمِ

فقام ترعد كفاه بمحجنهِ قد عاد رهباً رذياً طائش القدمِ

فإذا كانت صورة المشيب بهذه البشاعة فكيف لا يهجم الخوف على النفوس فرقاً منه وجزعاً مما يجره عليها من مساويء وأسقام، والإجراءات الوقائية التي تتخذ للفرار منه تبدو عقيمة مع هذا القدر المحتوم، لذا نجد حميد بن ثور قد علمته مصائب الدهر ونكباته أن يكون رزيناً حتى وهو في صباه لا تلهه صبوته عن النظر في قابل الأيام وتوقع المستقبل وما يخبئ له إذ يقول[104]:

وقد كنت في بعض الصباوة أتقي أموراً وأخشى أن تدور الدوائر

وأعلم أني أن تغطيت مرة من الدهر مكشوف غطائي فناظرُ

إن هذا الإحساس الفاجع بمرارة الغد الذي يحمل العجز والوهن دعاه الى ترجي القدير العزيز أن يحفظ عليه الشباب قائلاً[105]:

فلا يبعد الله الشباب وقولنا إذا ما صبونا صبوةً سنتوبُ

وإن الذي منّاك أن تسعف المنا بها بعد أيام الصبا لكذوبُ

ويتمنى الإنسان أحيانا أن تعود به عجلة الزمن إلى الوراء وهي ما كانت عليه أماني جميل بثينة لكن هيهات ان تعود، إذ يقول[106]:

ألا ليتَ ريعانَ الشبابِ جديدُ ودهراً تولّى, يا بثين , يعود

ويقدم لنا النابغة الجعدي إحساسه بفاجعة الشيخوخة وما تجره على المرء من الأوصاب والآم فيقول[107]:

ودعوتُ ربّي بالسلامة جاهداً ليصُحني فإذا السلامة داءُ

إن المرء يعلم يقيناٍ أن الهرم هو الملجأ المخيف الذي سيدخله رغماً عنه في أواخر أيامه فيدفعه الى مراجعة نفسه بإحساسه بدنو الأجل وإقتراب حافة القبر من قدميه كقول كعب بن مالك[108]:

طرقتْ همومُك فالرقادُ مسهَّدُ وجزعت إن سُلخ الشباب الاغيد...

.. فدع التمادي في الغواية سادراً قد كنت في طلب الغواية تَفْنَدُ

ويشاركه الفرزدق هذا الإحساس المر بانتهاء العمر أو الاقتراب من نهايته حين يساءل نفسه في حزن عن حبيبة مضت، وكأن هذه الحبيبة تمثل الدنيا في عينية، ويصبر نفسه حينما يؤكد على أنها ليست أول من ينأى ويتجنبه، إذ يقول[109]:

ألم يك جهلاً بعد سبعين حجة تكر أم الفضل والرأس أشيبُ

وقيلك هل معروفها راجع لنا وليس لشيء قد تفاوت مطلبُ

على حين ولى الدهر إلا أقلّه وكادت بقايا آخر العيش تذهبُ

فإن تؤذنينا بالفراق فلستمْ بأول من ينأي ومن يتجنبُ

إن منطق الشاعر الصريح والضمني يفصح عنه كون تلك الحبيبة هي أيام الشباب الراحلة. ويرسم لنا الشاعر بريشة الكلمات صورة لسطوة الزمان عليه إذ صار يتخذ من العصا صديقة موجعة يتوكأ عليها، وانحنى ظهره، وكلَّ بصره وسمعه، يقول حميد بن ثور في مآل إليه حاله[110]:

لقد ركبتُ العصا حتى قد أوجعني مما ركبتُ العصا ظهري وأظفاري

لا أبصر الشخص إلا أن أقاربه معشوشياً بصري من بعد إبصارِ

وقوله[111]:

أرى بصري قد رابني بعد صحة وحسبك داءاً ان تصحَ وتسلما

ولعل الخوف من المشيب ناتج من تغير الأحوال وانصراف الآخر عنه وما الآخر إلا المراة التي تمثل الوطن الكبير والمستقر والملاذ الآمن الذي يلجأ اليه الشاعر حينما تعصف به الأزمات والمحن، فحينما تغلق الأبواب في وجهه ويرفضه الواقع الأليم نراه يلجأ إليها يلتمس الاحتواء والأمان في الوقت الذي يكون المشيب بما جرّه من ويلات وآلام حاجز بينه وبينها كقول الفرزدق[112] :

تضاحكت إن رأت شيباً تفرعنّي كأنها أبصرت بعض الأعاجيب

ويقول العديل بن الفرخ العجيلي[113] :

زعم الغواني أن جهلك قد صحا وسواد رأسك قصد شيب شامل

ورآك أهلك منهم ورأيتهم ولقد تكونُ مع الشباب الختاذل

إن تجربة الشيخوخة في الشعر الإسلامي تبدو تجربة حقيقية فهم يصفون المعاناة من خلال رؤية لها جانب كبير من الصدق, فإذا طال عمر الإنسان انتفت قيمة الإحساس به, فقد جزع الشعراء من شيخوختهم , وبكوا على فوات الشباب بدمع غزيز , وأحسنوا التعليل إذا تنكرت لشيبتهم امراة بعد وصال, ولامتهم

لا ئمة على توسلهم بأسباب اللهو والغرام بعد أن تجاوز هرمهم ركب الفتوة والشباب إذ لن يتوقع الإنسان الشاعر بعد الشيخوخة وتقوس الظهر وطول السقم إهتمام أحد به أو إكتراث المرأة به.

الخاتمـــــــــة

ونحن ننهي دائرة بحثنا عن مجاهيل الخوف المادية في الشعر الإسلامي حتى نهاية عام 132هجرية نسجل النتائج التالية:

- شكل **الفقر** عاملاً مثيراً للخوف، وقد أبرز البحث الأسباب التي تدعو للخوف منه
- إذ أن المرء إذا أفتقر رفضه إخوانه، وقطعه ذوي رحمه، وفقد مكانته حتى إذا أصاب قيل أساء، فجعلوا
- من الفقر مضموناً معادلاً للخلود، واشتقوا له لفظ من ألفاظ الموت وهو (الإعدام)، ولجئوا للخلاص من رهبتهم منه إلى اتخاذ إجراءات وقائية لئلا يقع المرء في مصيدته بالعمل
- الدؤوب والتنقل المتواصل سعياً وراء المال، فكان التكسب من المديح إحدى تلك الوسائل؛ وقد حاول الشاعر جاهداً إخفاء خوفه من الفقر فلجأ إلى إسناد الصوت الخائف للمرأة والتي تعبر في واقع الأمر عن نفس الشاعر وتفكيره، بل ألجأ الخوف من الفقر البعض إلى مجافاة الكرم الاقتناع بنفعية البخل، وهذا تحول على صعيد القيم الاجتماعية العربية.
- ويعد **الحيوان** عنواناً آخراً للخوف، فرضته الطبيعة على الإنسان في بيئة قانونها الرئيس البقاء للقوي، وهو ما بث في نفسهما الجزع والهلع من أجل الانتصار، فدار صراع فرض الإرادات بينهما، وكان الخوف يمتلك الحيوان من قرينه الحيوان كعنوان ثالث لهذا الصراع.

- ومثل **المكان** رمزاً مخيفاً بكل ما يمكن أن يحققه من قلق، فمثلت الصحراء الوجه الأكثر وضوحاً في مرآة النفس الوجلة بما يتضافر لها من سعة المساحة وقلة الموارد وتعشقها مع عناصر مخيفة أخرى كالظلام، والحر الشديد، وسماع الأصوات المفزعة، وكثرة الباع والوحوش؛ ثم كان الحديث عن البحر وما يسقطه من رهبة على من يركب أمواجه العاتية، والثغور كان لها نصيباً في إدخال الرعب لنفس من تواجد فيها، والحال كذلك من القلق والوجل لمن إرتاد الأماكن المرتفعة كالجبال أو دخل الأماكن المغلقة كالسجون أو نزل إلى الأماكن العميقة كالقبور.
- وكان **الهرم** عنصراً مخيفاً بما يحمله من دلالة انقضاء عهد الشباب، وقرب النهاية، وما ينجم عنه من أبعاد اجتماعية مؤلمة، إذ شكل عنصر إخافة جأر الشعراء منه بالشكوى المرّة والحسرة المؤلمة.

الهوامش :

[1] / ينظر مشكلات وقضايا نفسية: 160 .

[2] / ينظر العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: 120.95/1 .

[3] / سورة الإسراء: الآية 31

[4] / ينظر لسان العرب: مادة (عدم).

[5] / عشرة شعراء مقلون: 72.

[6] / شعراء إسلاميون: 340، وينظر أيضا ديوان النابغة الشيباني: 84.

[7] / ديوانه: 11.

[8] / ديوانه: 95 – 97 .

[9] / ديوانه: 54 .

[10] / ديوانه: 192، وينظر أيضا ديوان النابغة الشيباني : 106 ، 153 ، وديوان الفرزدق: 97/1.

[11] / شعره: 75.

[12] / العصر الأموي أدبه وحضارته: 87.

[13] / ديوان أشعار النساء: 202، وينظر أيضاً ديوان الأحوص: 58.

[14] / ينظر الإبداع والإتباع في أشعار فتاك العصر الأموي: 23.

[15] / أشعار اللصوص: 96/1.

[16] / نقد الشعر من المنظور النفسي: 125.

[17] / شعراء أمويون: 91/3، وينظر أيضاً ديوان جرير: 97 ، وشرح ديوان الفرزدق: 200/1.

[18] / ديوانه: 277.

[19] / شعراء إسلاميون: 371 .

[20] / م . ن: 275 .

[21] / الأغاني: 161/19 .

[22] / شعراء إسلاميون: 384، وينظر أيضا ديوان النابغة الشيباني: 54.

[23] / مالك ومتمم إبنا نويرة اليربوعي: 104، وينظر أيضاً شرح ديوان الأحوص: 46.

[24] / عيون الأخبار: 239/1 .

[25] / ديوانه: 27 .

[26] / شعراء إسلاميون: 346 .

[27] / شعراء أمويون: 3/ 272، وينظر أيضاً ديوان حسان بن ثابت : 192 .

[28] / ديوانه: 44 .

[29] / ديوانه: 94، وينظر أيضا ديوانه: 24.

[30] / شعراء إسلاميون: 160 .

[31] / شعراء إسلاميون: 606 .

[32] / ينظر م . ن: 608 .

[33] / ينظر م . ن: 613 .

[34] / ينظر م . ن: 630 .

[35] / ينظر م . ن: 634 .

[36] / ينظر التفسير النفسي للأدب: 65 .

[37] / الصحابي الشاعر حميد بن ثور الهلالي حياته وشعره: 161.

[38] / ينظر شعراء أمويون: 37/1.

[39] / ديوانه : 2/ 628.

[40] / قراءة عصرية في أدب الذئب.

[41] / شعراء أمويون: 212/1.

[42] / م . ن: 26/1 .

[43] / الصحابي حميد بن ثور الهلالي حياته وشعره: 161 .

[44] / ينظر أصول علم النفس: 132 .

[45] / ينظر الشعر والشعراء: 1/ 161.

[46] / مروج الذهب: 391/2، وينظر أيضا شعر زياد الأعجم: 60.

[47] / ديوانه: 179، وينظر أيضاً عشرة شعراء مقلوّن: 164 .

[48] / ديوانه: 25، وينظر أيضاً البداية والنهاية 9/ 111 .

[49] / ديوانه: 35 . 37 .

[50] / عشرة شعراء مقلون: 89، وينظر أيضاً م. ن: 167.

[51] / ينظر ديوان الراعي النميري: 94 ، وعشرة شعراء مقلون: 122. 123

[52] / ينظر ديوان حسان بن ثابت: 195 .

[53] / ديوانه: 23.

[54] / ينظر ذو الرمة دراسة ونقد: 82 .

[55] / ديوانه : 64.63 ، وينظر أيضاً عشرة شعراء مقلون: 164.

[56] / ينظر نقد الشعر من المنظور النفسي: 91 .

[57] / ينظر خصوبة القصيدة الجاهلية ومعانيها المتجددة: 153 .

[58] / ينظر الصحة النفسية والعلاج النفسي: 420،418 .

[59] / ديوانه : 213، وينظر أيضاً ديوان الطرماح: 313 .

[60] / ديوانه : 32 ، وينظر أيضاً ديوان العرجي: 219 .

[61] / شعراء إسلاميون: 449.

[62] / ديوانه: 82 ، وينظر أيضاً شرح ديوان حسان بن ثابت: 105 .

[63] / ينظر نقد الشعر من المنظور النفسي: 91 .

[64] / ديوانه: 49.

[65] / شعراء إسلاميون: 258 .

[66] / شعراء أمويون: 256/3 .

[67] / شرح ديوانه: 292.

[68] / ينظر التطور والتجديد في الشعر الأموي: 273 .

[69] / ديوانه: 69 .

[70] / ينظر لسان العرب: مادة (حوش) .

[71] / ينظر العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: 265/2 .

[72] / ديوانه: 106 .

[73] / ينظر الجمان في تشبيهات القرآن (البغدادي): 72،71، ديوان الحطيئة: 156.

[74] / ينظر المكان في الشعر العربي قبل الإسلام (رسالة ماجستير): 87

[75] / ديوانه:130 .

[76] / شعراء إسلاميون: 387 .

[77] / شعره: 88 .

[78] / عشرة شعراء مقلون: 118 .

[79] / ينظر عشرة شعراء مقلون: 274

[80] / ديوانه: 94 .

[81] / شرح ديوانه: 324 .

[82] / شعراً إسلاميون: 274 .

[83] / ينظر الإبداع والإتباع في أشعار فتالك العصر الأموي: 56 .

[84] / ينظر التطور والتجديد في الشعر الأموي: 335 .

[85] / ديوانه :191.192.

[86] / شعراء أمويون: 129/1 .

[87] / شعراء إسلاميون: 285 .

[88] / م . ن: 44 .

[89] / شرح ديوانه: 58/1 ، وينظر أيضاً شعر الأخطل: 2/ 453، وشرح ديوان جرير: 283 .

[90] / شعره: 118 .

[91] / شرح ديوانه: 279 .

[92] / ديوانها: 61، وينظر أيضاً شعراء أمويون 46/1، وشرح ديوان الأحوص: 69.

[93] / ديوانه: 36 .

[94] / ديوانه: 72

[95] / الشعر من المنظور النفسي: 90 .

[96] / ديوان أشعار النساء: 328 .

[97] / ينظر البيان والتبيين: 333/2، والعقد الفريد: 318/2 ، وبكاء الناس على الشباب وجزعهم من المشيب: 93 .

[98] / ينظر ديوان الهذليين: 191/1 .

[99] / شرح ديوانه: 52/1 .

[100] / شرح ديوانه: 361 . 362، وينظر أيضاً شرح ديوان الفرزدق: 89/1، وشرح ديوان الأحوص: 65.64 ، 120 .

[101] / ديوانه: 123 .

[102] / ديوانه: 74.73 .

[103] / ديوان الهذليين: 1/ 193.192

[104] / الصحابي حميد بن ثور الهلالي حياته وشعره: 83 .

[105] / م . ن: 110 .

[106] / ديوانه: 25 .

[107] / ديوانه: 17، وينظر أيضاً شعراء إسلاميون: 368 .

[108] / ديوانه : 189، وينظر أيضاً شرح ديوان الأحوص: 88 ن127.

[109] / شرح ديوانه: 1/ 78 .

[110] / الصحابي الجليل حميد بن ثور الهلالي حياته وشعره: 162، وينظر أيضاً ديوان أبي الأسود الدؤلي: 134 .

[111] / م . ن: 197 .

[112] / شرح ديوانه: 1/ 23، وينظر أيضاً: ديوان جميل بثينة: 44، ديوان أبي الأسود الدؤلي: 31 ، 63 .

[113] / شعراء أمويون: 309/1 .

المصـــادر والمراجـــع :

– القرآن الكريم

. الإبداع والإتباع في أشعار فتاك العصر الأموي، عبد المطلب محمود، منشورات إتحاد الكتّاب العرب، دمشق، 2003.

. أشعار اللصوص وأخبارهم، عبد المعين الملوحي، دار الحضارة الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، 1993.

. أشعار النساء:أبي عبيدة بن عمران المرزباني (ت384هـ)، تحقيق: سامي مكي العاني وهلال ناجي، دار السالة للطباعة، الكويت، 1976.

. أصول علم النفس /د.أحمد عزت راجح/المكتب المصري الحديث/ القاهرة/ الطبعة التاسعة/ 1973.

. الأغاني: أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت356هـ)، تحقيق:عبد الستار أحمد فترّاج، دار الثقافة، بيروت، 1957.

. البداية والنهاية:أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي(ت774هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

. البيان والتبيين:الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر(255هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1985.

. التطور والتجديد في الشعر الأموي: د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة، 1973.

. التفسير النفسي للأدب:عز الدين إسماعيل، مصر، 1963.

. الجمان في تشبيهات القرآن: إبن ناقيا: أبو القاسم عبد الله بن محمد البغدادي(ت485هـ)، تحقيق: احمد مطلوب وخديجة الحديثي، مديرية الثقافة العامة، دار الجمهورية، بغداد، 1968.

. خصوبة القصيدة الجاهلية ومعانيها المتجددة: محمد صادق عبد الله، دار الفكر العربي، القاهرة.

. ديوان أبي الأسود الدؤلي/ تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين/ منشورات مكتبة النهضة/ بغداد/ الطبعة الثانية/ 1964.

. ديوان الإمام علي/ جمع وتحقيق: د. أحمد أحمد شتيوي/ دار الغد الجديد/مصر/الطبعة الأولى/ 2003.

. ديوان جميل بثينة/ تحقيق:المحامي فوزي عطوي/ الشركة اللبنانية للكتاب/ بيروت/ الطبعة الأولى/1969.

. ديوان حسان بن ثابت/ شرحه وكتب هوامشه وقدم له: أ.عبد مهنا/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ الطبعة الأولى/1986.

. ديوان الحطيئة/ رواية: إبن السكيت (ت246هـ)/ تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه/ مطبعة المدني/ القاهرة /1987.

. ديوان ذي الرمة/عناية وشرح:عبد الرحمن المصطاوي/ دار المعارف/ بيروت/ الطبعة الأولى/ 2006.

. ديوان الراعي النميري/ دراسة وتحقيق: د.نوري حمودي القيسي وهلال ناجي/ مطبعة المجمع العلمي العراقي/بغداد/1980.

. ديوان شعر عدي بن الرقاع العملي/ تحقيق: د.نوري حمودي القيسي ود.حاتم صالح الضامن/ مطبعة المجمع العلمي العراقي/بغداد/1987.

. ديوان الطرماح/ تحقيق: د.عزة حسن/ دار الشرق العربي/ بيروت/ الطبعة الثانية.

. ديوان العباس بن مرداس/ تحقيق: د. يحيى الجبوري/ دار الجمهورية/ بغداد/ 1968.

. ديوان الفرزدق/شرحه وضبطه:علي الفاعور/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ الطبعة الأولى/1987.

. ديوان قيس بن ذريح/ عناية:عبد الرحمن المصطاوي/ دار المعرفة/ بيروت/ الطبعة الثانية/2004

. ديون كعب بن مالك الأنصاري/ تحقيق: د.سامي مكي العاني/ مكتبة النهضة/ بغداد/ الطبعة الأولى/1966.

. ديوان ليلى الأخيلية/ تحقيق: خليل إبراهيم العطية وجليل العطية/ دار الجمهورية/ بغداد/1967.

. ديوان النابغة الجعدي/ جمع وتحقيق: واضح صمد/ دار صادر/ بيروت/1998.

. الذئب في الأدب القديم/ د.زكريا عبد المجيد النوتي/ ايتراك للنشر والتوزيع/ القاهرة/ الطبعة الأولى/2004.

. شرح أشعار الهذليين/ صنعة: السكري أبو سعيد الحسن بن الحسين (ت275هـ)/ تحقيق:عبد الستار أحمد فراج/ مطبعة المدني/ القاهرة/ 1965.

. شرح ديوان الأحوص الأنصاري/ تقديم وشرح: مجيد طراد/ دار الكتاب العربي/ بيروت/ الطبعة الأولى/1994.

. شرح ديوان جرير/ محمد إسماعيل الصاوي/ دار الأندلس/ بيروت.

. شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري/ ضبط وتصحيح: عبد الرحمن البرقوقي/ دار الأندلس/ بيروت/ الطبعة الثالثة/ 1983.

. شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي/ تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد/ دار الأندلس/ بيروت/ الطبعة الثانية/ 1983.

. شرح ديوان النابغة الشيباني/ تحقيق: د.عبد الله بن مخارق بن سليم/ دار الكتاب العربي/ بيروت/ الطبعة الأولى/1995.

. شعراء إسلاميون/ د. نوري حمودي القيسي /عالم الكتب/ بيروت/ الطبعة الثانية/1984.

. شعراء أمويون/ دراسة وتحقيق: د.نوري حمودي القيسي/ مطبعة المجمع العلمي العراقي/ بغداد/ 1982.

. شعر الأخطل/ صنعة:السكري/ تحقيق: د.فخري الدين قباوة/ دار الآفاق الجديدة/ بيروت/ الطبعة الثالثة.

. شعر زياد الأعجم/ جمع وتحقيق ودراسة/ د. يوسف حسين البكار/ دار الميسرة/ عمان / الطبعة الأولى/ 1983.

. شعر سابق بن عبد الله البربري/ دراسة وجمع وتحقيق: بدر أحمد ضيف/ دار المعرفة/ الإسكندرية/1987.

. شعر عبدة بن الطبيب/ تحقيق: د.يحيى الجبوري/ دار التربية/ بغداد/1971.
. الصحابي حميد بن ثور الهلالي حياته وشعره/ د. رضوان محمد حسن النجار/الطبعة الأولى/ 1985.
. الصحة النفسية والعلاج النفسي/ د.حامد عبد السلام زهران/ عالم الكتب/ القاهرة/ الطبعة الثانية/ 1995.
. عشرة شعراء مقلون/ صنعة: د.حاتم صالح الضامن/ دار الحكمة للطباعة والنشر/ الموصل/ 1990.
. العقد الفريد/ عبد ربه أحمد بن محمد الأندلسي(ت328هـ)/ تحقيق: محمد سعيد العريسان/ دار الفكر/1940.
. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده/ إبن رشيق القيرواني(ت456هـ)/ تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد/ مطبعة حجازي/ القاهرة/ الطبعة الأولى/ 1934.
. عيون الأخبار/ إبن قتيبة: أبي محمد عبد الله بن مسلم الدينوري(ت276هـ)/ تحقيق: د.محمد الإسكندري/ دار الكتاب العربي/ بيروت/2002.
. لسان العرب/ ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت711هـ)/ تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون/ دار المعارف/ القاهرة.
. مالك ومتمم إبنا نويرة اليربوعي/ د. إبتسام مرهون الصفار/ مطبعة الرشاد/ بغداد/ 1968.
. مشكلات وقضايا نفسية/ أمل الأحمد/ مؤسسة الرسالة/ بيروت/ الطبعة الأولى/2004.
. نقد الشعر من المنظور النفسي/ د.ريكان إبراهيم/ دار الشؤون الثقافية/ بغداد/ الطبعة الأولى/ 1989.

الدوريـــات والرسائـــل :

. بكاء الناس على الشباب وجزعهم من المشيب/ إبن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت597هـ)/ تحقيق: هلال ناجي/ مجلة المورد/ م2/ع3/1973.
. المكان في الشعر العربي قبل الإسلام/ حيدر لازم مطلك/ رسالة ماجستير/ كلية الآداب/ جامعة بغداد/1987.